ملخص

شبكة إمام دار الهجرة العلمية

المشرف العام الشيخ حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي

لمعة الاعتقاد

للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي

بشرح الشيخ

مصطفى بن محمد مبرم حفظه الله

الدَرسُ السَابِع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدّين

أمّا بعد:

فهذه مذاكرة الدرس السابع من شرح كتاب: لُمعَة الاعتقَاد للإمام : موّفق الدّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدّسي -رحمه الله تعالى-

قال -رحمه الله-:

فَصْلٌ

الْقَضَاءُ وَالْقَدْر

وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تعَالَى أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيد لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ.

وَلَا مَحِيدَ عَنْ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ، وَلَا يتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ ,أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ.

خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾)الأنبياء:٢٣.(

وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾)القمر:٤٩.(

وَقَالَ تَعَالَى :﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾)الفرقان:٢.(

وَقَالَ تَعَالَى :﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾)الحديد:٢٢.(

وَقَالَ تَعَالَى :﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾)الأنعام:١٢٥ (

سنلحظ بإذن الله أنّ المصنف أطال نوعا ما في الكلام على القدر، لأنّ أهل العلم يُعنَون بالمسائل التي يشبّه فيها أهل البدع على أهل السنة، ويوقعونهم بسببها فيٍ أنواع من الضلال.

ماهي أركان الإيمان الستّة التي اتفقت عليها دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؟

-الإيمان بالله.

-الإيمان بالملائكة.

-الإيمان بالكتب.

-الإيمان بالرسل.

-الإيمان باليوم الآخر.

- الإيمان بالقضاء والقدر.

ماهي الأدلة الدّالة على أنّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان؟

من القرآن

- قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

"كل" هي أصل وأمّ ألفاظ العموم، فلم يخرج شيء عن خلقه، فكلّ ما يفعله العباد خلق من خلق الله تعالى.

- وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

- وكما قال -جلّ وعلا-: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾

من السنة

-حديث جبريل -عليه السلام- ويسمّى بأمّ السنة .

-قال النبيّ - صلى الله عليه وسلم-: ((آمنت بالقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه))

ملاحظة:

قوله: بالقدر خيره وشرّه ← جاء في جملة من الأحاديث في الصحيحين وفي غيرهما

أمّا لفظة ((حلوه ومره)) ← لم تثبت، فهذه اللفظة ضعيفة لم تثبت وإن كانت جاءت أيضا في بعض الطرق أو لها بعض الطرق إلّا أنّها لا تسلم من مقال.

هل هناك فرق بين القضاء و القدر؟

القضاء والقدر لفظان مفترقان من جهة اللفظ إلّا أنّ العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في الفرق بين القضاء والقدر ،وهذه المسألة فيها ستّة أقوال لأهل العلم رحمهم الله تعالى:

- فمنهم من لم يفرّق بين القضاء والقدر كما هو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيّم عليه رحمة الله من النّاحية الشرعية.

- ومن أهل العلم من فرّق فقال بأنّ :

- القدر ما يسبق وقوع المقدَّر.
- فإذا وقع المقدَّر وانقضى سمّي ذلك قضاء.

أيّ الأقوال رجح الشارح في الفرق بين القضاء و القدر؟لماذا؟

رجح التفريق ،لأنّه لا يأتي لفظان مختلفان متغايران إلّا وبينهما من الفرق ولو الشيء الدقيق اليسير،فهذان اللفظان متباينان إن اجتمعا و مترادفان إن افترقا.

تنبيه

لفظ القدر من جهة الورود في الكتاب وفي السنّة وفي ألفاظ أهل العلم أكثر من لفظ القضاء.

ما معنى القدر؟

- القدر مأخوذ من: التقدير
- من أحسن ما جاء في الكلام على القدر ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورواه جمع من الأئمّة عن الإمام أحمد رحمه الله أنّه قال: "القدر قدرة الله ومنكر القدر منكر للقدرة ".

وقد روى الفريابي في كتاب القدر بسند صحيح عن زيد بن أسلم وهو شيخ الإمام مالك في التفسير وفي غيره هذه المقالة .

- وهو كما قال بعض السلف "سرّ الله في خلقه"

فهم القدر يسير على من يسّره الله عليه وينبغي للمسلم فضلا عن طالب العلم أن يسلّم لله تبارك وتعالى في جميع أفعاله فإنّ أوسع أبواب الضلال الاعتراض على أفعال الرّبّ تبارك وتعالى ولذلك قال الله –جلّ جلاله– : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ والله تبارك وتعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض وقبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة ، أمّا علمه بما يقع للعباد فهذا لا أول له لأنّه من صفاته تبارك وتعالى.

ما هي مراتب الإيمان بالقدر؟ (مع شرح وذكر دليل لكلّ مرتبة)

للقدر أربع مراتب هي أركانه التي لا يصحّ الإيمان إلّا بها وهي التي جمعها الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله:

علم كتابة مولانا مشيئته   وخلقه وهو إيجاد وتكوين

يسبق حصول المقدّر

-العلم : هو أول مراتب القدر وعلم الله سابق للأشياء كلّها فإنّ علمه صفة من صفاته. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

-الكتابة: وهي كتابته تبارك وتعالى للأشياء كلّها قبل حصولها في اللوح المحفوظ. ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ و حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنّ النبي –صلى الله عله وسلم قال((إنّ أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد))

حال وقوع المقدّر

-مشيئته للمقدر قبل وقوعه﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

-خلقه وإيجاده لها. ومنزلة الخلق هي آخر المنازل، فقبل أن يخلق هذه الأشياء هو عا لم بها وكاتب لها ومريد لها جلّ وعلا.﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾وروى البخاري في خلق أفعال العباد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله يصنع كل صانع وصنعته))

إذا فهمت هذا فإنّك ستفهم القدر فهما صحيحا من جهة أنّ الفعل والترك مقدران لله تبارك وتعالى ، فإذا فعل العبد فعل بقدر الله تعالى، وإذا ترك ترك بقدر الله تعالى.

فكلّ شيء مقدر للعباد، ففعلهم وتركهم بتقدير الله تبارك وتعالى ومشيئته وإلا لم يكن هناك ثواب ولا عقاب.

ما معنى قول الشافعي رحمه الله تعالى :ناظروا القدرية بالعلم فإن أجابوا وإلّا كفروا؟

قوله بالعلم ليس المراد أن يكون المناظر عالما ،لأنّ هذا الشرط تحصيل حاصل فلابدّ وأن يكون المناظر عالما ،وإنّما أراد الشافعي رحمه الله بهذا أن يناظر أهل القدر بعلم الله تعالى فإذا أقرّوا بأنّ الله علم الأشياء قبل حصولها وأنّ علمه أوليٌ وصفة من صفاته فقد خصموا في هذه الحالة وإلّا كفروا عياذا بالله.

هل يقدر الله الشرّ؟ مادليلك؟

الخير والشرّ مقدران لله تعالى ، فالله –تبارك وتعالى– قدر فعل العبد وتركه فجميع الأفعال مقدرة. لكن كما جاء في الحديث الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: ((والشرّ ليس إليك)).

الدليل:

–قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾، قال شيخنا العلامة الوادّعي –رحمه الله– في الجامع الصحيح في القدر : الخير والشرّ.

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

-ما جاء في الصحيحين في قصة طاعون عمواس عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ((نفر من قدر الله إلى قدر الله)) ← يستفاد من الأثر أيضا الاحتجاج بالقدر

- روى الامام مسلم في صحيحه ومالك في موطأه عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صل الله عليه وسلم قال : ((كل شيء بقدر حتّى العجز والكيس)) أو الكيس والعجز.

-قوله عليه الصلاة والسلام: ((آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّه))

-وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– الَّذِي عَلَّمَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: ((وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ)).

الخير والشرّ باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتبار وقت إصابته. وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً أو مؤذياً.

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته، فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات، والصحة، والغنى، ومنه ما يكون شراً كالمعاصي، والمرض، والفقر، أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال : إنه شر لقول النبي، صلى الله عليه وسلم ، في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي: "**وقني شر ماقضيت**".

فأضاف الشرّ إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

★ ماهي أقسام الإرادة ؟

- ☒ الإرادة كونية : هي المرادفة للمشيئة وهي إرادة الفعل وإن لم يكن محبوبا.
- ☒ الإرادة شرعية: هي المرادفة للمحبة .

الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالمطيع أراد الله طاعته كونا وشرعا، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، فالله أراده كونا لكن لم يُرده شرعا.

★هل في الجنّ صحابة؟

نعم هناك جنّ من الصحابة .

❖ تعليق على كلام المؤلف في فصل القضاء و القدر

وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيد ← ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾

لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ ← أي :لا يتخلّف عن إرادته شيء، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ←—— أقسام الإرادة

وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ ← ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ← مرتبة المشيئة

وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ.← لأنّه قدّر مقادير الخلائق كلّها.

وَلَا مَحِيدَ عَنْ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ← فما قدّره الله جل وعلا كائن للعبد.

وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ← وهذه مرتبة الكتابة.

أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ ←فكلّ أفعال العباد أرادها الله تبارك وتعالى.

خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ ← ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ ←﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾

وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ ← جاء ذلك في الصحيحين في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ ...)).

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ ← يهدي من يشاء بحكمته وفضله ورحمته،ويضلّ من يشاء بعدله، فالهداية فضل والغواية والضلّالة عدل منه كما قال –تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ← إذا استحضر العبد هذه المنزلة وأن الله تبارك وتعالى قد أرسل الرسل بما تحار فيه العقول لا بما تحيله العقول فإنّه يسلم من هذا الباب.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ←"كل" أصل وأمّ ألفاظ العموم، فلم يخرج شيء عن خلقه، فكل ما يفعله العباد خلق من خلق الله تعالى.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ← مرتبة الخلق

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ ← منزلة الكتابة، فكل أفعال العباد مكتوبة مسطورة مزبورة، والزَّبر هو الكتابة.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ ← هذه هي الإرادة التي بيّنها الله تبارك وتعالى في كتابه، فلا يكون شيء إلا بإرادته تبارك وتعالى.

ثمّ ذكر المصنف رحمه الله أدلّة القدر من السنّة فقال:



ثمّ ذكر المصنف -رحمه الله- مسألة الإحتجاج بالقدر فقال:

وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ بِإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَبِعْثَةِ الرُّسُلِ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى :﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

هل يحتجّ بالقدر؟لماذا؟ مع ذكر الدليل؟

الاحتجاج بالقدر له جهتان؛ لأنّ القدر: مصائب ومعايب.

☒ فأمّا المصائب فإنّه يجب الاحتجاج بالقدر فيها؛ فإذا نزلت المصيبة على الإنسان فيما لا يقدر عليه ولا يتمكن منه من مرض أو إعاقة أو موت أو فقر أو ما شابه ذلك -وقد بذل الأسباب- فإنّه يحتج بالقدر .

الدليل:

- قال تبارك وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾

-قال جل وعلا:﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾،

قال علقمة: هو العبد تنزل به المصيبة فيرضى ويسلم.

- ما جاء في الصحيحين في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجزنّ، ولا تقولن لشيء فعلته لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل))

ملاحظة

تقرأ قَدَرُ الله ومن أهل العلم من يضبطها: قَدَّرَ الله، والأول هو الأرجح وهو الذي رجحه لنا شيخنا العلامة أحمد بن يحيي النجمي عليه رحمة الله ومغفرته وشيخنا العلامة عبدالله بن عقيل وحكى لي أن هذا هو ترجيح العلامة الشيخ ابن باز عليه رحمة الله .

☒ أمّا المعايب فلا يحتجّ فيها بالقدر،بل الحجّة عليه، لأنّ الله أرسل الرسل وأنزل الكتب، شبهة الاحتجاج بالقدر في المعايب قالها المشركون الأوّلون: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ فلو كان في القدر حجة –من جهة هذه المعايب: الشرك والكفر والضلال والمعاصي– لكان للمشركين حجّة فيما واقعوه من الشرك.

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله كما سبق ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها:

١– أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال: **[اليوم تجزى كل نفس بما كسبت]**.ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.

٢– أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى:**[لا يكلف الله نفساً إلا وسعها]**. **[فاتقوا الله ما استطعتم]**. ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل، أو الكف، لأن المجبور لا يستطيع التخلص منه.

٣–أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري ، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤–أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول؟! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول : هذا ما قدر لي؟!.

٥–أنّ الله أخبر أنّه أرسل الرسل لقطع الحجة: **[لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل]** ولو كان القدر حجّة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.

–شرح لمعة الإعتقاد للشيخ ابن العثيمين –رحمه الله–

قال –رحمه الله-:

وَنعْلَمُ أنَّ اللَّهَ –سُبْحانَهُ وَتعَالَى– مَا أَمرَ وَنهَى إِلّا الْمُستَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرك، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾

وَقَالَ اللَّهُ تَعالَى :﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾وَقَالَ تَعالَى :﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا ,يُجْزَى عَلَى حَسَنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهُ.

ماذا استفدت من قوله :"و نعلم أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ وتعالى مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ".ولماذا قيّد الأمر و النهي بالإستطاعة؟

استفدت :أنّ العبد هو الفاعل وله إرادة وقدرة قبل الفعل وأثناء الفعل وبعده ، هذا قول أهل السنة فهو الفاعل وهو المؤمن وهو الطائع وهو العاصي وهو الكافر.

فهو مأمور بالطاعة ومنهي عن العصيان وهو مستطيع للفعل لهذين الأمرين ومقدر عليه هذا ومقدر عليه هذا .

أوامر الربّ– تبارك وتعالى– ربطها بالإستطاعة لأنّه قد لا يستطيع من جهة العارض (يعرض له عارض فيمنعه من ذلك الفعل)، لا من جهة الخلق أيمن جهة كونه إنسان .

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾

وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

و جاء في البخاري في حديث عمران بن حصين : ((صلي قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب)).

★ اشرح قوله :"وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ"؟

المصنف رحمه الله يردّ هنا على الجبرية وعلى القدرية ،فهذان الأمران هما المفترق بين أهل السنّة وأهل البدع لأنّ:

- الجبرية يقولون بأن العبد مجبور على الأفعال وهو كالريشة في مهب الريح لا يقدر على شيء وهؤلاء هم القدرية الجبرية غلاة المثبتة

-والقدرية النفاة ، المعتزلة قالوا بأنّ الإنسان منفرد بمشيئته وخلق أفعال نفسه وهذا كلّه ضلال.

★ ما معنى الكسب في قوله تعالى :"الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ"؟

الكسب هنا المراد به الفعل يعني فعل العبد كسبه ،وقد علق المصنف على ذلك بقوله :

"فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللَّهِ وَقَدَرِه" .

★ لماذا تعقب المصنف بعض الشراح لاستعماله لفظ الكسب في قوله :"فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللَّهِ وَقَدَرِهِ"؟

لأنّهم نظروا إلى أنّ هذا اللفظ صار من شعار الأشاعرة ، فإنّهم يسمّون فعل العبد كسبا ، أراد الأشاعرة بها أن يخرجوا من قدرية النفاة ،من المعتزلة، ومن قول القدرية الغلاة المثبتة وهم الجبرية فجاؤوا بمسألة الكسب .

★ كيف نردّ على من انتقده في هذا الموضع؟

الجواب عن هذا:

- الجهة الأولى : أنّ هذا من الألفاظ والمصطلحات التي وردت في كتاب الله تعالى كما قال جل وعلا ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾وكما قال جل وعلا ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾
- الجهة الثانية : أنّه قد استعملت هذه اللفظة عند طوائف من أهل العلم قبل ابن قدامة المقدسي رحمه الله أو بعده.
- الجهة الثالثة: : وهو أن المصنف رحمه الله لم يفرد الكسب عن الفعل بل عطفه عليه مما يدلّ على أنّه يقول بأنّ العبد هو الفاعل وزد على هذا أنه قال في أول الفقرة هذه أو في إبتدائها نسب الفعل إلى العبد وأنّه هو المستطيع وأنّه لم يجبر أحدا على المعصية ولا إضطره إليها.

وبهذا يتبين لك مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في مسألة القدر، وهي مسألة مهمة، ولكن لنتذكر قول علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– ''القدر سر الله فلا تكشفوه'' يعني أنّ القدر من الأسرار التي إذا أتى العبد وخاض فيها فإنّه لن يصل فيها إلى مبتغاه، إلّا إذا سار على ما دلّت عليه النصوص، وقد جاءت في بعض الأحاديث **«وإذا ذُكر القدر فأمسكوا»** لأن العبد إذا خاض في هذا على غير بصيرة فإنه يقع في الضلال، وسبب ضلال الخلق أنّهم دخلوا في تعليل أفعال الله، ودخلوا في البحث في مسائل القدر دون معرفة لما دلّ عليه الكتاب والسنّة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تائيته القدرية التي ردّ بها على اليهودي الذي شكّك في قدر الله جل وعلا وفي أفعال الله، قال من ضمن ما قال فيها:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةٍ
فإنَّهمُ لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ ... فصاروا على نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

شرح لمعة الإعتقاد للشيخ صالح آل الشيخ

انتهى و لله الحمد و المنّة